النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٣٢ / ٢٠٠٠

الأحد ٦ آب

تجلّي ربنا وإلهنا ومخلّصنا
يسوع المسيح

الـــرســـالـــة (٢ بطرس ١ : ١٠ – ١٩)
الإنـــجـــيـــل (متى ١٧ : ١ –٩)

+ الشهيد أفبلس

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في الحادي عشر من آب لتذكار الشهيد أفبلس رئيـس شمامسة كنيسة مدينة قطاني في جزيرة سيسيليا (صقلية) الـــذي، رغـــم العذابـــات الشديدة، رفض إنكار المسيح، بل قَبِلَ الموت بشكر وفـــرح مؤمنـــاً أن الملائكـــة ترافقه في رحلته نحو أورشليم السماوية.

لا نعرف شيئاً عن نشأة أفبلس. نعرف فقط جهاده الذي قام به في زمـــن القيصرين ديوكليتيانوس ومكسيميانوس في أوائل القرن الرابع. فقد قُبض عليه وهـو يتلو الإنجيل المقدَّس أثناء القداس الإلهي. أُحضر أمام والي الجزيرة والإنجيل فـــي

يديه، وكان يقول: «أنا مسيحي وأشتهي أن أموت لأجل اسم يسوع المسيح». سأله الوالي من أين استحصل على هذا الكتاب الذي معه، فأجابه القديس قد وُجد والكتاب معاً وهما لا ينفصلان. ولما طلب منه الوالي أن يقرأ له شيئاً من الكتاب قرأ: «طوبى للمطرودين من أجل البِرّ فإن لهم ملكوت السموات، ومن أراد أن يتبعني فليحمل صليبه ويتبعني»، وأردف قائلاً: «هذه هي شريعة يسوع المسيح ابن الله الحي».

أسلم الوالي أفبلس للجلد، وكان كلما سأله الجلاّد أن يتراجع عن ديانته كان يرسم إشارة الصليب مكرّراً اعترافه بأنه مسيحي، ويتلو الكتاب المقدَّس. طُلب منه أن يسلِّم الكتاب المقدس للجند فرد بأنه يفضِّل الموت على تسليمه. زاد الجند من وتيرة التعذيبات وقساوتها، وكان أفبلس يشكر الرب يسوع طالباً منه أن يحفظه في هذه الشدائد.

سألوه أن يسجد للآلهة الوثنية، أجاب «اني أسجد للمسيح فقط، وأرذل الشياطين»، فضاعفوا العذابات. ولما رأى الوالي أن التعذيب لا ينفع ظنّ أنه يستطيع استمالة أفبلس بالوعود. حاول إقناعه وكان جواب أفبلس أنه يعبد الثالوث الأقدس وانه مستعد أن يضحي بذاته من أجل المسيح. أمر الوالي بأن يخضعوه لعذابات أشد قساوة، أما أفبلس فكان يقول «أشكرك يا يسوع، ساعدني يا يسوع». ولما أنهكت قواه ولم يعد يستطع الكلام، كان يحرك شفتيه وكأنه يتلو الشكر في قلبه.

أخيراً، لما رأى الوالي أن لا شيء ينفع مع أفبلس، دخل إلى دار الولاية وكتب حكمه بقطع رأس أفبلس لكونه خالف أوامر الملك وجدَّف على الآلهة. عُلِّق الإنجيل في عنق أفبلس الذي اقتيد في الشوارع والأزقة وهو يُضرب، وكان يمشي بثقة وفرح نحو مكان تنفيذ الحكم، مكرراً الشكر للرب. لما وصلوا به إلى المكان المقصود ركع أفبلس وصلَّى إلى الرب شاكراً إياه على القوة التي منحه إياها، ثم التفت نحو الشعب الواقف هناك وحثَّهم على خدمة الله ومحبته، ثم مد عنقه للجلاد الذي قطع رأسه بسرعة. عند ذاك تقدَّم بعض المؤمنين ورفعوا جسده الطاهر وطيّبوه بالطيوب ودفنوه باحترام وتقوى.

إن محبة الشهيد أفبلس للرب يسوع لا يمكن وصفها، فلنتضرع إلى الرب لكي يرحمنا ويخلصنا بشفاعته آمين.

+ تبريك الثمار

أحد أقدم التقاليد في الكنيسة الأرثوذكسية تبريك ثمار الصيف، العنب، يوم عيد التجلّي (٦ آب). هذا يدفعنا للتساؤل عن معنى هذا الطقس القديم ومعنى التبريك والتقديس بشكل عام، وطقس تبريك العنب هو واحد من طقوس عديدة مماثلة.

إذا تصفحنا كتاب «الأفخلوجي» أي كتاب الصلوات، نقرأ خدماً خاصة لتكريس منزل جديد، أو مباركة بئر ماء أو حقل، أو لتبريك البيض والجبن يوم الفصح، أو لتبريك مركبة (سفينة، سيارة) جديدة، وغيرها الكثير من الصلوات التقديسية التي تتعلق بحياتنا اليومية، وكأن الكنيسة تريد أن تحيط بكل ما يتعلّق بنا في هذا العالم، وكأن يد الله اليمنى المباركة تمتد وتغطي الكل عبر طقوس التبريك والتقديس.

لماذا شعر الناس منذ زمن بعيد جداً بالحاجة إلى التبريك؟

ما يجب أن نوضحه بداية أن مناصري الدعاية العدائية للدين يعتبرون، ودون مساءلة، ان كل هذه الطقوس بمثابة وهم وخرافات (Superstition) ضمن الإطار الديني الأوسع. يتحججون ان الوهم هو نتيجة الخوف: الخوف من احتراق المنزل، الخوف من الناس الآخرين. ويضيفون أن الدين يدّعي تخايص المؤمنين من الخوف عبر رش الثمار والحقول والمنازل بالماء المقدس، والقول بأن الله يحميهم ويحميكم. وكل هذا مجرد جهل مطبق ووهم وخرافة وخداع.

لكن الدعاية الملحدة وفي عرضها للموضوع، لا تأتي على ذكر الصلوات والطقوس أو النصوص المستعملة في ما يسمونه جهلاً منهم أوهام، كما يظهرون الكهنة والإكليروس بشكل عام كأنهم محتالون ينشرون الخوف والجهل عبر استعمال عبارات سحرية غير معروفة. لكن إذا أصغى المرء إلى هذه الصلوات وتفحص الطقوس، إذا اختبر مرة في حياته فرح نور التجلّي وإشعاعه، سيتضح له ان الخداع ليس من الكنيسة بل من الدعاية الملحدة ذات الإرادة المريضة. إنها الدعاية الملحدة، وليس صلوات الكنيسة، هي المملوءة خوفاً وعدم ثقة، والتي ترغب في تحقير ما هو أسمى وأطهر وأرقى من مفهومها البسيط، الدنيوي، المادي للعالم والحياة. ما نراه ونسمعه ونختبره في هذه الطقوس والصلوات هو الفرح والشكر. وحيث الخوف حاضر لا يوجد فرح وشكر، وإذا كان هناك فرح فلا وجود للخوف. الخوف ينتج التعاسة وعدم الثقة، وهذا ما لا يوجد في نور التجلّي. لكن ما هو مصدر هذين الفرح والشكر؟

لقد قال أحد الشعراء (Osip Mandelshtam) في احدى قصائده عن القداس الإلهي: «خذ العالم كله بين يديك وكأنه مجرد تفاحة...». قد يبدو الأمر بسيطاً وصبيانياً، لكن لأنه هكذا نرى فيه أكثر من أي مكان آخر مصدراً للفرح والشكر اللذين يكتنفان الإيمان المسيحي. في التفاحة، وفي كل شيء في العالم، يرى الإيمان عطية الله المملوءة محبة وجمالاً وحكمة ويعترف بها ويقبلها. يسمع الإيمان التفاحة والعالم يتكلمان عن محبة لا محدودة خلقت العالم والحياة وأعطتهما لنا كما أعطتنا حياتنا. إن العالم هو نتيجة محبة الله للبشرية، وعبر العالم فقط يستطيع البشر معرفة الله ومحبته بالمقابل. وعبر محبة حياته يستطيع الإنسان قبول حياة العالم كعطية من الله. ما نقبله دون تردد هو سقوطنا وخطيئتنا فيصبح كل شيء فينا وحولنا فارغاً وكئيباً وروتينياً. تصبح التفاحة مجرد تفاحة، والخبز خبزاً والإنسان مجرد إنسان. نعرف الأشياء وشكلها وكل شيء عنها، لكننا لا نعرف جوهرها لأننا لا نرى فيها النور الساطع. المهمة الدائمة للإيمان والكنيسة تخطّي هذا الاعتياد الخاطئ الرتيب لنرى مجدداً ما نسينا أن نراه، ونحس ما لم نعد نحسه، ونختبر ما لم نعد نستطيع اختباره. وهكذا فإن الكاهن يبارك الخبز والخمر ويرفعهم إلى السماء، لكن الإيمان يرى خبز الحياة، يرى ذبيحة وعطية، يرى شركة مع الحياة الأبدية.

في التجلّي نجلب العنب إلى الكنيسة، وفي بعض الكنائس الأخرى يجلبون من كل ثمار الصيف، التفاح والعنب والإجاص، فتتحول الكنيسة مجدداً إلى تلك الحديقة السرية، إلى ذاك الفردوس المبارك حيث بدأت حياة الإنسان وتعامله مع الله، ونفرح كما فرح الإنسان الأول وشكر الله عندما فتح عينيه لأول موة ورأى هذا العالم حيث كل شيء خُلق بكلمة الله وكان «حسناً جداً». في طقس التبريك نرى العالم وكأننا نراه للمرة الأولى، انعكاساً لحكمة الله ومحبته، فنفرح ونقدم الشكر، وتتنقى حياتنا وتتجدد من خلال هذين الفرح والشكر. نحن لا ننفي العالم المادي كما تتهمنا الدعاية الملحدة المغلوطة، ولا نشوه سمعته، بل على العكس نحن نقدسه ونباركه، لأننا به نرى عطية الله بفرح وشكر. «السماء والأرض مملوءتان من مجدك»، هكذا نرتل في القداس الإلهي.

عبر التبريك يخترق هذا المجد ضميرنا النائم ويفتح آذاننا وعيوننا، فتصبح الحياة تسبيحا وفرحا وشكرا.

لكن ماذا عن الشر؟ ماذا عن العذاب والموت؟ إذا كنا ممتلئين من هذا النور، من أسفل القدمين إلى أعلى الرأس، إذا كنا نقبل فعلاً البركة والتقديس وندخلهما إلى داخلنا، نصبح المكان الذي يبدأ فيه الانتصار على الشر. وسوف يُبتلع الموت إلى غلبة، لأننا نعيش في عالم عاش فيه المسيح وهو حاضر فيه إلى الأبد. وإذا كنا نرى المسيح في كل شيء وفي كل واحد في هذا العالم ونحبه ونعطي ذاتنا له، إذا كنا نرى النور في حضوره ومحبته ونصره، عندها لن يفصلنا شيء عنه.

(الأب ألكسندر شميمان)

+ تأمل

اذا حاول أحد أن يتحدّث عما يخص الله، فليتحدّث أولاً عن حدود الأرض. أنت تسكن الأرض ولا تعرف حدودها، فمن أنّى لك أن تعرف بجدارة صانعها ؟ أنت ترى الكواكب ، ولكنك لا ترى خالقها. إحصِ عدد ما تراه ، وعندئذ يمكنك أن تفسّر ما لا تراه ، " ذلك الذي يحصي عدد الكواكب ويدعو كلها بأسمائها " (مز ١٤٦:٤). لقد هطلتْ أخيراً أمطار غزيرة وتلاشت قطراتها بأقلّ من لمح البصر، فاحص إذا استطعت القطرات التي سقطت على المدينة وأنا لا أقول على المدينة ، بل على سطح منزلك لمدّة ساعة. إحصها أن استطعت. وإن لم تستطع اعترف بضعفك، واعترف كذلك بقدرة الله لأنه " يحصي قطرات المطر " (أيوب ٣٦:٢٧) التي سقطت على الأرض، ليس الآن فقط بل في الأزمنة كلها٠ الشمس من صُنع الله وهي كبيرة ، ولكنها إذا قورنت بالكون تبدو صغيرة للغاية. فحاول أن تدرك الشمس أولاً، ثم ابحث في أمور الرب. " لا تطلب ما يُعييك نيله ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك ، لكن ما أمرَك الله به، فيه تأمل" (سيراخ ٣: ٢٢-٢٣).

وربّ معترَضٍ يقول : إذا كانت الطبيعة الإلهية لا يمكن إدراكها ، فلماذا تتحدّث عنها ؟ فهل لأني لا أستطيع أن اشرب النهر كله ، لا يمكنني أن أخذ منه حاجتي ؟ وهل لأنه ليس في سعة العيون كلها استيعاب الشمس كلها ، لا أستطيع أن أنظر إليها ما فيه الكفاية لفائدتي الخاصة؟ وإذا دخلت حديقة عظيمة ولم أقدر أن أكل من كل ثمارها ، فهل تريد أن أخرج منها جائعاً؟ إذاً لأسبّحْ خالقنا وأمجّده، لأن هذه الكلمة الإلهية أمر : " كل نسمة فلتسبّح الرب " (مز ١٥٠:٦) ، وأنا أسعى الآن الى تسبيح الرب لا الى تفسيره. وبما أني أعلم اني لا أستطيع أن أفيه حقه من التسبيح ، فأنا أبذل ما في وسعي للقيام بعمل التقوى هذا، لأن الرب يسوع يعزّيني عن ضعفي عندما يقول : " الله لم يَرَهُ أحدُ قط : (يو ١:١٨).

وربّ معترض يقول : ماذا إذاً ألم يُكتب : " ان ملائكتهم (الصغـــار) فـــي المـــوات يشاهدون أبداً وجه أبي الذي في السموات "؟ (متى ١٨:١٠). أجل ، إن الملائكـــة تـــرى الله، ولكن ليس كما هو ، به بحسب ما في وسعها ، إذ يسوع ذاته يقول :" لا أن أحـــداً رأى الآب بل من أتى من لدن الآب ، هو الذي رأى الآب (يو ٦: ٤٦). ان الملائكة ترى إذاً بحسب مـــا في وسعها، ورؤساء الملائكة يرون بحسب ما في قدرتهم ، والعـــروش والســـلاطين يـــرون أحسن من السابقين ، ولكن لا كما ينبغي. والوحيد الذي يمكن أن يراه كما ينبغي – فيما عـــدا الابن – هو الروح القدس ، لأنه يفحص كل شيء ويعـــرف حتـــى أعمـــاق الله " (١ كـــور ١١:١٠). وكما أن الابن الوحيد يعرف الآب كما ينبغي ، كذلك يعرفه الروح القدس ، إذ يقول يسوع :" ما من أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومَن شاء الابن أن يُكشف له " (متـــى ١١:٢٧)٠ إنه يرى الله كما ينبغي ويكشف عنه مع الروح القدس ، وبالروح القدس ، بحسب قـــدرة كـــل واحد. وبما ان الابن الوحيد يشترك في لاهوت الآب مع الروح القدس ، فهو الذي وُلِـــد منـــذ الأزل بعيداً عن كل هوى (٢ تيمو ١:٩) يعرف والده ويعـــرف الآبُ مولـــوده. الملائكـــة لا يعرفونه (لأن الابن الوحيد يُكشف عنه مع الروح القدس وبواسطته ، بحسب قدرة كل واحـــد كما قلنا ذلك). فلا يخجل الإنسان إذاً بالاعتراف بجهله.أنا أتكلّم الآن ، والجميع يتكلّمون كـــلٌّ في حينه، أما كيفية الكلام فلا أعرفها. فمن أنّى لي أن افسّر ذاك الذي وهبنى الكلام نفســـه ؟ أنا الذي أملك روحاً لا استطيع أن أصف كل مميزاتها ،فمن أنّى لي أن افسّـــر ذلـــك الـــذي أعطاني النفس ؟

القديس كيرلّس الأورشليمي

+ من أقوال الآباء

أتى أخ اسمه يوحنا من مدينة ساحلية إلى الأب القديس العظيـــم فيلمـــون (ناسك في مصر خلال القرن السادس أو السابع) وعانق القديس قائلاً له: «مـــاذا يجب أن أفعل أيها الآب حتى أخلص؟ فأنا أرى ذهني مشتتاً، ويهيم هنا وهنـــاك، حيث لا يجب أن يكون». وبعد صمت قصير قال فيلمون له: «هذا مرض يعانيـه أولئك الخارجيون، وسوف يبقى فيك لأن محبتك لله غير كاملة بعد؛ فحتـــى الآن لم ينهض فيك بعد دفء محبة الله ومعرفته». فسأله الأخ: «ما يجـــب أن أفعـــل إذاً؟». أجابه الأب: «اذهب، ومنذ هذا الوقت مارس الهذيذ السري في قلبك، هـــذا سينظف ذهنك من مرضك». فقال الأخ لفيلمون، ولم يكن قد فهم ما قيل له: «ما

هو هذا الهذيذ السري أيها الأب؟». أجابه: «اذهب، واحتفظ باليقظة في قلبك، وكرّر في ذهنك باتزان وخوف وارتعاش: أيها الرب يسوع المسيح، ارحمني».

تركه الأخ، وبمساعدة الله وصلوات الأب ابتدأ يحفظ الصمت ويختبر حلاوة هذا الهذيذ السري. إنما لم يدم ذلك إلا فترة قصيرة من الزمان فقط، لأنه تركه فجأة ولم يعد يستطيع المحافظة عليه طويلاً، أو على الصلاة برصانة؛ أتى ثانية إلى الأب وأخبره بما حدث. فقال الأب: «الآن قد وطئت طريقاً قصيرة على درب الصمت والممارسة الداخلية، وتذوقت حلاوته. لذلك احتفظ به دائماً في قلبك. فسواء كنت تأكل أو تشرب، أو تكلّم أحدهم خارج قلايتك أو على طريق ما، لا تنسَ أن تردد هذه الصلاة بذهن منتبه ويقظ، وأن ترنم الصلوات والمزامير وتلهج بها. وحتى أثناء تلبيتك لحاجة ضرورية ما، لا تسمح لذهنك أن يكون كسولاً، إنما دعه يتأمل ويصلّي في الخفية، كل الوقت، عندما تستلقي لتنام، أو عندما تنهض، عندما تأكل أو تشرب، عندما تتحادث مع أحدهم، إحفظ قلبك في العمل سرياً، لاهجاً آية من المزامير، ومصلياً أحياناً: أيها الرب يسوع المسيح، ابن الله ارحمني».